مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد : ٣٣ ، العدد: ١ ، السنة : ٠٩ ، ص٤٥-٦٢

تشظيات القلق في شعرالسياب
شناشيل ابنة الجلبي اختيارا

أ٠م٠ د٠ صدام فهد طاهر الاسدي
جامعة البصرة – كلية التربية – قسم اللغة العربية

الخلاصة

يتخذ القلق مسميات متعددة منها الحزن والألم والخوف ،ومادام السياب واحدا من الذين يحترقون حبا وغيرة لوطنهم فقد ظهر القلق مهيمنا كبيرا في شعره ومن يتصفح دواوين السياب على عجالة يكشف عن التداعيات فهي دواوين قائمة على صراع مع الحياة وبكائية لاتنتهي، وقد اخترنا شناشيل ابنة الجلبي نموذجا لانه اكثر الدواوين احتراقا بالقلق قل أن القلق كان يحتل حصة الأسد في شعره وهو يبدأ المشوار ،وقد تنوعت رؤى القلق عند الشاعر توصلنا في دراستنا للاتي:**القلق من الطبيعة**،كانت الريح مخيفة للسياب متوجسا منها حتى في ساعة الأرق واللجوء إلى النوم ،و قصيدة الباب تقرعه الرياح تتحدث عن توجساته:ثم– **القلق من النساء**،أن المنتظرة الغائبة ابنة الجلبي تظهر جلية في **شعره** –**والقلق من الوحدة** يصنع وحدة غريبة أقسى من وحدة المعري رهين المحبسين أنها وحدة قلقة تبعث الأسى فحتى الباب الذي أقلقه فهو اقوى منه يخشى صوته وانسداده والحديث ينقله على لسان أمه الدفينة و–**القلق من الزمن**أقولها جازما أن السياب قد استسلم استسلاما نهائيا لقسوة الزمن وتداعياته المتناقضة ولم تنفعه دفقات الأمل والمرض قد اخذ مأخذته منه حتى بات الزمن عدوه الذي يقف امامه متربصا بالموت و**القلق من الفناء والرحيل** ٠

انظر لهذا الشاعر الذي بلغ الغاية الا حدود الكمال في موهبة رائدة وما سقط القلم من يده حتى اسقط الموت كل شيء فيه سوى الروح والقلق من العيش ونكد الحياة ٠

لو اختصرنا المسافات بوعي جماعي كيف نفسر توحده في وصف الفلاحين المهاجرين من القرى:و**القلق من الصدى**إن الشاعر على موعد مع العدم ولكنه ثقيل عليه يقلقه وبعد لما يكمل قولته الشعرية التي يطمح إليها فكأنه يجد حياته مماتا ومماته حياة ٠

يصنع وحدة غريبة أقسى من وحدة المعري رهين المحبسين أنها وحدة قلقة تبعث الأسى والضياع والحيرة فحتى الباب الذي أقلقه فهو اقوى منه يخشى صوته وانسداده والحديث ينقله على لسان أمه الدفينة وقد:يصنع وحدة غريبة أقسى من وحدة المعري رهين المحبسين أنها وحدة قلقة تبعث الأسى وهو يتجذر الى الداخل بل يتفرع الى الخارج:وتنتهي رحلة الشناشيل بسبع عشرة قصيدة فائحة بالشلل والقلق ولو اسماها (إلى متى القلق)لكان مصيبا وهو يتوحد بعد ضياع الحلم مع ذاته متماهيا لمرضه الأيوبي المزمن وعكازه ووحدته وخيبته وقد اعطانا شعرا رائعا من قلق مستديم وربما ينتج بحثي خلاصة مفادها أن السياب يبني سفينة ليركب

كل الناس فيها إلا الشناشيل فقد باتت منفردة بذاته ومرضه وصمته وعجزه وفي مسك الختام اترك لعشاق السياب قولتهم في تداعيات القلق القادمة فمازال شعر السياب أرضا خصبة للبـــــــــــــــــــــــــــــــــاحثين ٠

تزاوجت الرؤى في مستهل بحثي بين التشظي والقلق واراهما عنصرين متلاصقين جدا في نمذجة الفكر ودالين على فجيعة نفسية تتلاقح دون تفريق بين المرض الجسدي والنفسي،ولا نريد التمهيد لظاهرة افرغ منها في سيكولوجيات الأدب ولكننا نؤكد تفشيها وكثرتها خاصة في الشعر العراقي الحديث والأسباب معروفة،

يكاد القلق يتوحد لدى الشعراء كما يرى الدكتور عبد الغفارمكاوي(**ابرز الاحساسات التي ينقلها إلينا الشعر الحديث هو الإحساس بالوحدة والقلق)** ١

ونرى قول الرائدة نازك في محله عندما وصفت الفكر الانساني(**لابد لله من الاستبطان والادراك باللمح الموهوب خلال نوع من الطفرة الشعرية والشاعر هو الذي يقوم بتلك الطفرة)**٢

وقد يتخذ القلق مسميات متعددة منها الحزن والألم والخوف ومادام السياب واحدا من الذين يحترقون حبا وغيرة لوطنهم فقد ظهر القلق مهيمنا كبيرا في شعره ومن يتصفح دواوين السياب على عجالة يكشف عن التداعيات فهي دواوين قائمة على صراع مع الحياة وبكائيةلاتنتهي،ولعلنا نؤكد صحة الرأي هذا بقول الدكتور إحسان عباس(لا يزال السياب يسترسل وراء كل طاقة من طاقات الانفعال على حدة دون أن يستطيع حصر تلك الطاقات في سياق داخلي ينتظم حركة القصيدة ويمتد بامتدادها فهو مشتت مضطرب).٣

ومن قراءتنا المتواضعة للأدب الغربي نجد الشاعر الكبير اليوت يرى حياته محسوبة بملاعق القهوة والسياب تقارب معه قائلا (أكيل بالأقداح ساعاتي) ٤، وقد وصف رجاء النقاش القلق (**أن الحزن وليد التجربة الكبيرة والخوف من الناس والأشياء ،انه دليل على المعرفة العميقة بالحياة والغربة على رأي حكيم هندي(هي قلق عظيم)**٥

دعني مبتعدا عن جرجرة سابغة الذيول همها إثارة الغبار لتدل على الفارس الضائع والفرس المتعب، ومادام بحثي ينطلق من الشعر فابدأ منطلقا من قول (ديل كار نجي) في كتابه دع القلق وابدأ الحياة قائلا(**من أصابه القلق فقد متع الحياة وان جاءته تسعى)** ٦

واجد ملزما التوضيح بان دائرة المعارف السيكولوجية شخصت القلق خوفا مرتبطا بشيء أو هو نتاج ذهني متأت من ظروف محددة.وكلنا نعلم بان حياة المشاهير عالم مليء بالمفارقات كشريط من الإحداث الغريبة وقد تنظر السياب مبتسما ولكن الجرح ينزف والقلب يقطر حزنا حيث الشقاء والعذاب النفسي،فالفقر وابتعاد النساء عنه وهيأته الذاتية كلها خر وقات وقفت تصنع طريقه المسدود مع امتلاكه موهبة من الله ينقصها الأيمان وهو واحد من سلسلة يبدأها همنغواي منتحرا وفان كوخ الهولندي الشهير الذي أراد أن يضع حدا للشقاء فاطلق الرصاص على نفسه،قل أن القلق مرتبة أولى في تصدر المرض

الجسمي ناتجا عن أفكار مكبوتة وغرائز مسجونة وربما يتمسرح القلق الى وسواس وتوتر وانشغال فكر وليته أصبح غرضا ايجابيا حرك الشاعر للحفاظ على نجاحه في مسيرة الحياة بل تحول القلق الى عامل سلبي قصر عمره ولكنه ترك أدبه متعة ومرفأ شعريا تنطلق من عذاباته رؤى الفكر وتغرد لطيوره مرا فيء الأمل،ولا يختلف اثنان بان معظم الشعراء تتمحور حياتهم حول القلق ونرى السياب له حصة الأسد لظرفه الاجتماعي الذي أضفى على حياته القصيرة تشظيات قلقة،ومادمنا نعلم **(أن الشعر يموت في حياتنا كل يوم ويموت الشعراء او ينتقلون من زمن الشعر إلى زمن الثرثرة)**٧ قل ان القلق **(من ابرز الاحساسات التي ينقلها الينا الشعر الحديث-هو الاحساس بالوحدة والقلق- ولعل الناس لاتتفق في شيء يتعلق بالشعر والشعراء كما يتفقون على انهم اناس متوحدون بالقلق))**٨ ،

وقد استهل بحثي بدلالة التشظي وهي التفرع والتنوع وعدم الاختصار على قلق واحد فقد تصبح اكبر مهيمنة نفسية تقتل الشاعر جسدا وتنضج فنه الشعري ابداعا

فالشعراء يقلقون من الزمن الكلي تارة واخرى من اجزائه فالخوف يبقى محيطا بهم من نهاية محتمة وهذا الخوف يبات عاملا مسببا للقلق مما حدا البحث هذا التفرع

وقد كان الجزء المكمل للتشظيات القلق واردت به تلك الظاهرة التي يتوحد فيها الشعراء وينتصرون في قلقهم بالابداع كما نجح السياب وانتصر بقلقه الدائم،فالسياب انسان والانسان كلما زادت خبرته وتجاربه تبين ان الدنيا تنطوي على مأساة

وقد أشار الدكتور إحسان عباس في كتابه عن السياب **(السر كل السر في شخصية بدر – لا في إيمانه بشعره- تلك الشخصية التي يلتقي فيها البكاء بالضحك على صعيد ويتردد صاحبها بين ذروة الانفعال)**٩تلك الشخصية التي حصرت بين مرضين دائمين مرض جسدي حطم له رؤاه ومزق تحمله ومرض ابداعي اثقل به بموهبة صارخة اعطت الاجيال تراثا وهو على بينة من ذلك ان شاعريته متنفس ابداعي كبير وموهبة قلقة ،تعال معي إلى فضاء شعري يتوسل بالقلق ميدانا لمسارات مختفية عن المتلقي كثيرا بالرغم من النبش المتواصل في ترابية سيابية فائحة بالعطاء وحسبي أن التراب الذي سقط عليها المطر والسياب حي وقتها مازال ممطرا ،قل أن القلق كانت بداية ساخطة معرية رافضة ولااجانب الصواب إذا قلت جازما ان القلق يحتل حصة الأسد في شعره وهو يبدأ المشوار متسائلا:

أبي منه قد جردتني النساء وأمي طواها الردى المعجل

ومالي من الدهر إلا رضاك فرحماك فالدهرلا يعدل١٠

بدأ القلق عنده باحثا عن شرفة مثلت الثراء والجاه أمام الشاعر الفقير المحروم فصنع ابنة جلبي خيالية في الحلم وواقعية في مسرح الطبقية:

مددت الطرف ارقب ربما ائتلق الشناشيل

فأبصرت ابنة الجلبي مقبلة إلى وعدي١١

من هنا اكتضت ساحة الصراع بين جدليتين لا تلتقيان ابدا الفقر والغنى وهو قلق بدائي يعصر روح الشاعر ضمن انفتاح الموهبة للتحدي والتعويض ولم يتوقف القلق عند تهويمات الاخرين بل رسم حدودا للصياد:

اغوص في بحر من الأوهام والوجد
فالتقط المحاراظن فيه الدر
ثم تظلني وحدي جدائل نخلة فرعاء
كان صيادا حزينا يجمع الشباك
ويلعن المياه والقدر
وينثر الغناء حيث يأفل القمر١٢

هذه صورة بصرية لصياد قلق يلعن ويندب الحظ لعدم الصيد وهي صورة قناع للسياب الذي رجع من الصيد بخفي حنين انه يخلق توحدا و وتماهيا في مواقف كثيرة من شعره ولم نجد على حد علمنا باحثا يتسلق مدارك القلق التي تتجذر من هم فردي الى هم جماعي يبدأ الأول بوصف جدته :

رفعوا نعشها ونحن حيارى والدموع الغزار ملء العيون١٣

بهذه الرؤيا الأولى فتح القلق نوافذه في شاعرية السياب وسيمضي بها حتى يدخل معه القبر ضمن ثيمات متعددة السياق سوف نكشف عنها في متن البحث،وقد يتساءل المتلقي لماذا شناشيل ابنة الجلبي وأقول جازما أن هذه المجموعة تحمل تشظيات كبرى للقلق خاصة والسياب كان في مرحلة شاعر يته المتقدمة قبل أن يطفح كيل الأسى وتبنى من هدير المعاناة جسور للقلق لو قسمناها على مئة رجل غير السياب لما تحمل بعضها، وحتى نعبر قنطرة الصدق واثقين نفترض هذين القولين للشاعر مدخلا ومن خلالهما نفترش بساط الحزن لنبش الوجع من معاناة شاعر كبير لم ينس حتى زوجه التي بعثر مزاجها اليومي هدوءه قائلا وهو يعترف بعظمة لسانه في قصيدة ألقن والمجرة :

ولولا زوجتي ومزاجها الفوار
لم تنهد أعصابي١٤

والبكائية عنده على الضياع والحرمان والغربة وهو يهرب من المرض والموت ويدري أن الغلبة للموت فهذا ما تركه قلقا وقد تفرع عنده القلق الى فضاءات (قلق من الزمن–الليل–الطبيعة/الوحدة/ /الصوت/الصمت/ الهيأة–الصداقة/الرحيل/الفراق) كل هذه وضعت أصابعها في جسد السياب لتمزق قلبا لا يتحمل بعضها فقد رحل مريضا متعبا لا يملك حبة دواء لمرضه.

١- القلق من الزمن

واي عامل امام الشاعر اخطر واكبر من الزمن ذلك الزمن الذي يعد فنا بذاته ولايعد سنينا تمضي فثمة اختلاف بين زمن الراحة والحزن وبين الصحة والمرض وبين الغنى والفقر انه الزمن يمضي ويتقدم ويصول كالخيل نحو الامام لارجعة فيه فيحزن هذا ويفرح هذا وتتجلى التناقضات في رفد عوامل الابداع فالزمن عند السياب خطير مهم قاتل سمه عدوا للسياب حينما حرمه من صحة وغنى واستقرار وفرح فكيف به لايحترق بلهيب العذاب والبكاء الدائمين،كيف به لايتحول الى بركان متمرد للرد على هذا الزمن القاهر الزمن الذي لايفرق بين الموهوب والمبدع وبين الجاهل والوضيع ، كل هذا الزمن المتناقض باناسه وليس بسنينه تحول عند السياب الى شعلة مرض تحرق جسده وتفجر شعره بين متارجحات الحياة قلق شعري نفسي وبين حلم مذبوح يعيشه الشاعر دون جدوى،انه الزمن الحارق للمشاعر

أقولها جازما أن السياب قد استسلم استسلاما نهائيا لقسوة الزمن وتداعياته المتناقضة ولم تنفعه دفقات الأمل والمرض قد اخذ مأخذته منه حتى بات الزمن عدوه الذي يقف امامه متربصا بالموت:

أنا ميت مازال يحتضر الحياة

ويخاف من غده المهدد بالمجاعة والفراق١٥

هذا الذي يتنبؤه الشاعر وقد حصل في العراق ليس برغيف الخبز فقط بل بالفكر والحرية والأمن والاستقرار ،ولا ادري اليس التشبث بالوهم قلقا؟

على ثغري دموع من قرار القلب تنبثق

لان جميع من أحببت قبلك ما أحبوني١٦

ويبدو الزمن ساكنا عند السياب لايتحرك الا القلق على حد تعبيرطراد الكبيسي يسميه زمن شخصي اكثر من زمن ١٧

٢- القلق من الطبيعة

الطبيعة تلعب دورا خطيرا في صنع الابداع ولم تكن فنا تزيينيا حسب انها تشكيل حميم يغري الباحث بملاحقته وتاشير توهجاته ، فليست الطبيعة مطرا وشجرا وريحا تتحرك وعواصف تلهب وامواجا تغضب وبرق يلوي مسارب الخوف ولاذئبا يعوي ولاكلبا ينبح انها الطبيعة الام كيف تتفجر وتتحول الى قاتل حتى يتحول الليل الزمن ويستحيل كائنا متجسدا الى عدو وقتامة سوداء تبعث القلق وليس زمنا هدئا دالا على الراحة فليس امام السياب طبيعة جامدة ومتحركة حسب بل طبيعة تخنقه وتقتله دون رحمة وطبيعة بالمطر دالة على انبعاث ثورة، والشعراء اكثر الناس الفة للطبيعة لكنها تثير قلقهم وتتحول الى كائن متجسد بالالم بل على حد تعبير الدكتور حسين عبود الهلالي(**رمز المجهول والوحشة والخوف)١٨**

ويرى رجاء النقاش الليل عذابا للمصير وتفرقا للغربة والموت١٩

كانت الريح مخيفة للسياب متوجسا منها حتى في ساعة الأرق واللجوء إلى النوم ،و قصيدة الباب تقرعه الرياح تتحدث عن توجساته:

الباب ما قرعته غير الريح في الليل العميق

الباب ما قرعته كفك ،أين كفك والطريق ناء٢٠

حتى صور النعاس رياحا فاترات في قوله:

وصعدت نحوك والنعاس رياح فاترات تحمل الو رقا٢١

فلاشيء لا يقلق الشاعر حتى رغو البحر:

ولن أنسى بان وراء رغو البحر قلبا هده القلق٢٢

واستمر القلق يحاكي الطبيعة فكانت الأوراق الساقطة موضوعة:

سقطت فكل وريقة قيثارة مقطوعة الأوتار والأنغام٢٣

وكما يرى الدكتور سعيد الورقي ان **(الطبيعة الام الرحيمة التي يلجا اليها الانسان حين تقسو الحياة (فدعوها امهم الرحيمة بهم وامتزجوا بها وخلعوا من ذات انفسهم عليها)٢٤**

لذا بات كل شيء منها يغدو انسانا يلبس ثوب الشجروغضب السحابة ورفيف الاجنحةكم يرى الدكتور فشوان**(تدخل في اغراضهم ولعل ذلك راجع الى نزعاتهم الانطوائية)٢٥**

لذا وجد السياب صورة تحمل معادلا موضوعيا للقلق فمثلما الزهرة رقيقة والقلب في داخله مثلها فلافرق بين من تفرك وتسحق الزهرة وتحطم مشاعره:

غير أن التي تحطم قلبا تنثر الزهر مثله في الفضاء٢٦

وبدأ يشم القلق في أوراقه:

ومابين أوراقه الصامتات تلاشى غنائي ومات الصدى٢٧

وشكل الليل لغزا قلقا عند الشاعر

نسيم الليل كالآهات من جيكور

يأتيني فيبكيني بما نفثته أمي فيه من وجد وأشواق٢٨

وبات يخشى الليل وطوله فهو رمز المجهول والوحشة والخوف والجزء الاكبر من اليوم الذي تلتبس فيه الاشياء كما تسكن الاحياء بل هو عذاب المصير والغربة والموت:

ظلام الليل أوتار

يدندن صوتك الوسنان فيها وهي ترتجف٢٩

حتى بات ظل التينة مخيفا له:

الا يأكل الرعب منا الضلوع

إذا ما نظرنا إلى ظل تينة٣٠

وهنا تناص مع الأديبين (مانسفيلد) وإيليا أبي ماضي في تينة حمقاء وكم وقفت غابة الظلام مقلقة الشاعر:

عيناي تحرقان غابة الظلام بجمرتيهما اللتين منهما سقر٣١

وحتى سعفات النخل مقلقة تحمل شؤم الريح:

من قريتي رعشت لدى النهر

خوصا ته وتلين لا تدري

أيان تنقذف

ويهيم ثغري وهو منخطف٣٢

واكبر القلق أن ينسحب الضياء:

ذهب التراب

ورن في الليل النباح أو العواء

عانقت كفك باليدين الى اللقاء

وذهبت فانسحب الضياء٣٣

هنا تشترك الطبيعة المتحركة بأصوات العواء والنباح لتخيف الشاعر ومنها وبعدها ينسحب الأمل،اماالقلق من المطر فربما يعترض واحد ويقول اليس السياب من غنى للمطر وأنشودته خالدة للمطر وهو شاعر المطر ولد ومات في المطر ونقول وربما يكون رأينا مخطئا أن السياب ينفرد بصوت متوحد مبتعد عن التماهي الذاتي كغيره من معاصريه فقد لبس ثوب(بروميثوس الجبار)مؤكدا قولته في قهر المرض فقد لبس السياب ثوبا موحدا دالا على الجمع متخذا من الطبيعة وسيلة:

في كل قطرة من المطر

حمراء او صفراء من أجنة الزهر

وكل دمعة من الجياع والعراة٣٤

فالمطر بصوت الجمع يتوحد قوة تحيل الموت والجفاف حياة وان قطرته تعويذة يتغلب فيها على مرضه فقد طلب بالموت وانتظره يائسا كما قال ادونيس (لقد هرم المغني) وكما قال جبرا (بدأ السياب أسطورته بموته)،من هذه الجدلية والتشظيات يتوجس الخوف من مطر ساقط في الظلام:

أنمكث في ظلام الجو سق المبتل ننتظر

متى يتوقف المطر٣٥

انه يريد أن يتوقف لا يسقط على بيوت الفقراء لان بيوتهم من الطين

٣- القلق من النساء

تستمر معاناة الشاعر متجذرة بالقلق وامام المراة تزداد توترا حينما تفقده وتهجره وتنأى عنه لحظة واحدة فهي شريكة العمر وقريبة الروح فكيف يستغني عنها شاعر حساس كالسياب ففي كل دقة

باب يظن يدها التي تطرق وامام كل نسمة هواء يظن رائحتها القادمةفلا مهرب من المراة ابدا وقد شكلت عند السياب مهيمنة كبيرة للقلق ونحن ادرى بعذابات رجل يجد نفسه بلامظهر لائق ولاملابس لامعة ولاثروة ولابيت كل هذا الحرمان يشكل تناقضا عند الشاعر ماذا يعطيها وكيف تقبل به وهي ترى امثاله ينعمون بالثراء فماذا لديه سوى الكلمات والشعر انه هذيان الروح امام الصمت:أن المنتظرة الغائبة ابنة الجلبي تظهر جلية في قوله:

حلم صباي ضاع آه ضاع حين تم

و عمري انقضى

وقوله:

ولم أرها هواء كل أشواقي أباطيل

ونبت دونما ثمر ولاورد٣٦

هاهي سعاد كعب تعود في تناص سيابي اخر بوصفها تنقض الوعد (وما مواعيدها الا الأباطيل) وكم يبدو الشاعر قلقا وهو ينتظر رسالة:

طال انتظاري وهي لاتأتي

وتحترق الزوارق والتخوت٣٧

وهكذا يمشي القلق مع خطوات حبيباته مثل حفيف الريح:

وحفيف الريح في ثوبك

أو وهوهةالليل مشى بين الغصون

ولعانقتك عند الباب

ما أقسى الوداع٣٨

انه قلق من الغياب وعد اللقاء المرتقب:

كيف ضيعتك في زحمة أيامي الطويلة

لم احل الثوب عن نهديك في ليلة صيف مقمرة

وقوله في النص نفسه:

انه ذنبي الذي لن اغفره٣٩

هكذا يسير شريط ذاكرته ليحاسب نفسه بقلق ويتحرك الذنب قلقا لا هوادة فيه:

آه كيف ضيعتك ياسرحة خوخ مزهرة

آه لو عندي بساط الريح

لو عندي الحصان الطائر

آه لو رجلاي كالأمس تطيقان المسير

لطويت الأرض بحثا عنك لكن الجسور

قطعتها بيننا الأقدار ٤٠

هذه اعترافية مزمنة بالقلق اللامحدود، وحتى الرسالة القادمة منها بدأت تقلقه:

رسالة منك كاد القلب يلثمها لولا الضلوع التي تثنيه أن يثبا ٤١

٤- القلق من الفناء والرحيل

واي قلق اكبر من قلق الرحيل المحتوم والفناء الابدي فلابقاء للانسان فالموت حراب مشرعة امامه وهو المنتظر لحظاته والمستقبل لوعده المرير،انه الواقف على باب الرحيل منتظرا طرقات الباب لذلك الموعود الذي يجيء بلادعوة ويطرق جرس الصمت والفناء فقد فقد الزمن ومعه فقدت طفولته وهو الان يفقد الايمان بالبقاء ولاجدوى من الحياة فاين اجداده واين احبته كلهم رحلوافقد صور الموت وحشا يخاف منه متى اتى بالرغم من عنجهيته بالتحدي للموت،**ف(الشاعر باهتمامه بفكرة الموت انما هو يقبل الظروف التي يجد نفسه فيها وفيالوقت نفسه يؤكد الفرق بين الحياة والموت وبذلك فهو يؤكد حقيقة الحياة)٤٢**

والانسان بدون مناقشة(**ولد ليموت**)على حد تعبير ريتا عوض في كتابها اسطورة الموت**٤٣**

انظر لهذا الشاعر الذي بلغ الغاية الا حدود الكمال في موهبة رائدة وما سقط القلم من يده حتى اسقط الموت كل شيء فيه سوى الروح:

جلست عند بابها كسائل ذليل

جلست اسمع الصدى كأنه العويل

يلهث خلف حائط من حجر ثقيل

كان بين دقة ودقة يمر ألف عام

وما أجاب العدم الخواء٤٤

٥/ القلق من الصمت

تعد كلمة الصمت مركزا اساسيا "(ثيمة " يعتمد عليها الشاعر في بناء النفس الأسطوري والملحمي لقصائده)لاسيما قصيدة جيكور امي التي ظهرت فيهاعناصر التفكير الأسطوري تقع منتصف المسافة بين المدركات والمفاهيم الحسية أي اننا تعامل مع واقع ومجرد ، وليس بإمكاننا أن نفهم تلك المعادلة من غير دالول لأن الصورة لايمكن أن تكون مجرد فكرة)٤٥ وقد وجدنا أن الدالول أو الدال في بنية شعر الشاعر الاسطورية تعتمد بصورة واسعة على مفردة الصمت بكل تجلياتها يبدأ الشاعر بداية ملحمية كما تبدأ ملحمة جلجامش

اذ يرعش في ذاك السكون

ذلك الصمت سوى قعقة الرعد

سوى خفق الخطى بين التلال٤٦

ان الرعشة دالة على بداية الصمت في رسم معنى جديد للمراة التي ارتبطت بالماء وارتدت التانقض تلبس وعري وهو فعل الترويض نفسه ففي البداية لم تتكلم المراة مع انكيدو بل كانت تودي الاشارات وقد مرحلة اقوى بعد القعقة

ثم يتوحد الصمت في صورة اكبر واصفا الابواب التي اغلقت عليه:

في ظله والدرب دوار

ابوابه الصامتة تغلق٤٧

وهو يسرد فكرة عن القراصنة وهي تلبس اثوابا واجنحة اربعة تخفق بها وان حبيبته تساءله لاحب ولادار:

وتتراكم صور مهيمنته الصمت في القصيدة ذاتها:

صوت يدوي في قلاع الريح

ياليتك المشاء في صمت٤٨

هنا يصف الحركة الخفية الدالة على الخوف فلمشي في صمت دلالة الخوف والرهبة كيف وهو يرى القرصنة امامه وقد ياتي الصمت ردة فعل على الوضع السياسي الصاخب والواقع السلطوي العنيف الذي يؤمن بالضجة الموجهة لمصلحته، فالنظام الحاكم يسير المظاهرات ويرفع الشعارات ويسخّر وسائل الإعلام لمصلحته لكن تلك الضجة تستفز الشاعر فيقرف منها ويفضل عليها نباح الكلاب الذي ينطلق في هدوء الليل، فنحن البشر صامتون مهما زعقنا ومهما صحنا قال السياب:

الغرفة موصدة الابواب والصمت عميق

وستائر شباكي مرخاة

رب طريق٤٩

الظاهر للعيان انه يخشى المواجهة بالرغم من ستائر شبكه المغلقه وصمته العميق فثمة من يستمع اليه فللجدران اذان كما يقاوالدليل قوله:

يتنصت لي يترصد بي خلف الشباك

كمزع بستان سود

اعطاها الباب المرصود٥٠

ثم يذكر في القصيدة نفسها ويكر الصمت:

من ذاك الموت وتمس بي والصمت عميق

لم يبق صديق ليزورك في الليل الكابي

والغرفة موصدة الابواب

ان السياب في قلق روحي وجسدي حتى مع صمته المخيف

الاشياء كثيرة ترن في مخاوفه والصدى واحد من انفعالات الطبيعة البشرية والحيوانية والجامدة كلها تبعثص اصداءها وهذا مايقلقه كثيرا فالريح تبث عواصفها والانسان القريب البعيد المجاور يبث اصداءه ،وكلها تلعب لعبتها في اختناقات نفسه الجائرة الخائفة من اللمحة والاشارة فحتى الصدى الخفيف يزعجه مثلما يزعجه الصدى الليلي الرهيب منها اصوات الموتى يتوقعها ويحسب لها حسابا وكأنه في المقبرة ،إن الشاعر على موعد مع العدم ولكنه ثقيل عليه يقلقه وبعد لما يكمل قولته الشعرية التي يطمح إليها فكأنه يجد حياته مماتا ومماته حياة ومضى كسيحا كجثة مهشمة في عواصف الريح حالما باهتزاز الصدى الذي بات يقلقه ايضاوقد نتساءل من يتربص للشاعر خلف الشباك اليس هذا قلقا يصنعه :

احس في الصدى

برودة الردى

اشم فيه عفن الزمان والعوالم العجيبة٥١

وقد صور الريح تحمل ذلك الصدى ،لكنه كلحريق انه الياسالنهائي بين ذلك الصدى المخترق للامال في قوله:

الريح تحمل لي صدى القبلات

منها كالحريق

من نخلة يعدو الى اخرى ويزهو في الغمام ٥٢

وحينا يتحول صداه الى خالق وباعث للامل"

صداي يحيلني شجرة

تمص الماء يقرع في مداها النسغ ٥٣

٧- القلق من الوحدة

يصنع وحدة غريبة أقسى من وحدة المعري رهين المحبسين أنها وحدة قلقة تبعث الأسى وهو يتجذر الى الداخل بل يتفرع الى الخارج تاركا فضاء من الضياع والحيرة فحتى الباب الذي أقلقه فهو اقوى منه يخشى صوته وانسداده والحديث ينقله على لسان أمه الدفينة :

آه يا ولدي البعيد عن الديار

ويلاه كيف تعود وحدك لا دليل ولا رفيق٥٤

أنها صورة الاستذكار لطفل محروم كان يتذكر أمه التي تحرسه وتخاف عليه :

أماه ليتك لم تغيبي خلف سور من حجار

لا باب فيه لكي أدق ولا نوافذ في الجدار

كيف انطلقت بلا وداع فالصغار يولولون

يتراكضون على الطريق ويفزعون فيرجعون٥٥

كم نكشف القلق يأكل استقراره والفزع صرخته المدوية

٨- القلق من الصوت

نكاد نجزم ولعلنا نقارب الصواب أن الشاعر يخاف من الصوت جدا فماذا عمل اذا سمع صهيل الفرس ،إنها صرخات وهي أصوات تنبعث من قلبه الحزين:

قسمات وجهك من خيالي

أين أنت أتسمعين

صرخات قلبي وهو يذبحه الحنين إلى العراق٥٦

أنها صرخات صادقة مادامت للعراق العزيز ،ولكن له موقف مع قل**قه:**

كما ينسل نور خائف من فرجة الباب

الى الظلماء في غرفة

سمعت هتافه المجروح يعبر نحوي ألشرفه٥٧

وهذه الاصوات المسموعة يرسمها رسما:

أين جاري؟أين داري؟أين آواها أميرتي

التي كانت تناولني كؤوس النور

فيبصر قلبي الدنيا ويلقاها٥٨

والبكاء قلق صوتي نجده باعثا لرؤى أخرى تفيض فنا شعريا :أحسست بالليل الشتائي الحزين وبالبكاء

ينثال كالشلال من أفق تحطمه الغيوم

أحسست وخز الليل في باريس

واختنق الهواء بالقهقهات من البغايا٥٩

وبهذه الصور المتجاورة ينقلنا السياب في قلق بعد قلق،ولم ينس صوته الذي يضفي عليه معاناة أخرى:

ومن مرضي أريد الماء

،وتخنق صوتي الظمآن

وهوهة الدجى والماء

ويعول من بعيد بوق سيارة٦٠

هذان صوتان دالان على قلقه اولهما صوته الظمآن الذي يخنقه الماءوثانيهما بوق السيارة ما يخيفه ويقلقه أكثر والذي يلفت النظر أن السيارة عبر الماء وليس على التراب،انه يخلق أصواته ويقلق منها كما قال ادونيس(**النص عنده لقاء وصراع بين** شك**ل يتهدم وأخر ينهض)**٦١ انه يحمل ساقيه الى الموت دون أن تحملاه صابرا متحديا الامتحان شعاره واحسر تاه،وقد بلغ الشاعر قلق اللغة كما يسميها جاك در يدا وهذا القلق يهز البنية التحتية للغة .

٩- القلق من تناقضات الحياة

لو اختصرنا المسافات بوعي جماعي كيف نفسر توحده في وصف الفلاحين المهاجرين من القرى:

واسمع القرى تئن والمهاجرين

يصارعون بالمجاديف وبالقلوع

عواصف الخليج والرعود منشدين٦٢

هذه لوحة حقيقية تبعث القلق في روحه ويتوحد مع الناس البسطاء الفقراء الباحثين عن لقمة العيش بالكد والتعب.،وهنا يعترض على من يقطفون الثمر:

خفاف الخطى يعبرون الدروب

بلا غايةيقطفون الثمار

ولا يطعمون ابنة جائعة٦٣

وما أقسى القلق عنده حين يرى الجياع:

مشاعري البريئة فيه

كيف يجوع ألاف من الأطفال ملتفة

بآلاف الخروق تعربد الريح الشتائية٦٤

ويعترف مصرا على التحدي :

ولكن البنادق ما تزال عيونها الغضبى

تطاردني لأني غير ربي وحده لم اتخذ ربا٦٥

هنا يؤنسن الجماد مجازا فله عيون تراقبه وهو يحمل الزمن عريه وفقره:

ولم اعرف من الدنيا سوى أيام أعياد

فتحت العين فيها من رقادي لم أجد ثوبا٦٦

ومازال الأمل أبا للشاعر ينتظره أبدا:

يقولون هذا جناح أبينا

وقد عاد بعد الصراع بزهره

بقطره من الطل حتى يطل الصباح٦٧

هذه رموزه القلقة ترسم اليأس بعدا حتى يخاف الوقوف أمام قبر أمه فيبتلعه التراب:

ولبست ثيابي في الوهم

وسريت

ستلقاني امي في تلك المقبرة الثكلى٦٨

والخوف الخوف من شباك بيته:

وستائر شباكي مرخاة

رب طريق

يتنصت لييترصد بي خلف الشباك٦٩

وانتهت رحلة القلق بحتمية يعترف بها:

نفسي من الآمال خاوية جرداء لا ماء ولا عشب٧٠

وتنتهي رحلة الشناشيل بسبع عشرة قصيدة فائحة بالشلل والقلق ولو اسماها (إلى متى القلق)لكان مصيبا وهو يتوحد بعد ضياع الحلم مع ذاته متماهيا لمرضه الأيوبي المزمن وعكازه ووحدته وخيبته وقد اعطانا شعرا رائعا من قلق مستديم وربما ينتج بحثي خلاصة مفادها أن السياب يبني سفينة ليركب كل الناس فيها إلا الشناشيل فقد باتت منفردة بذاته ومرضه وصمته وعجزه وفي مسك الختام اترك لعشاق السياب قولتهم في تداعيات القلق القادمة فمازال شعر السياب أرضا خصبة للباحثين

<u>الهوامش :-</u>

١-ثورة الشعر -مكاوي٢٥٧

٢-قضايا الشعر -نازك-١٥٤

٣-تاملات في الانسان-النقاش٣١

-٤-بدر شاكر-احسان ١٤٠

٤-نفسه ١٤٥

٥-تاملات-النقاش٣١

٦-دع القلق-كارنجي ٢٤

٧-الاستهلال –النصير ٥٦

٨-ثورة الشعر –مكاوي ٢٥٧

٩-بدر شاكر-احسان-٤١٠

١٠-الديوان ٨٢

١١- شناشيل ٩

١٢-الديوان ٤٧٦

١٣-الديوان ٤٠٨

١٤-شناشيل ٣٥٣

١٥-الديوان ١٥١

١٦-شناشيل ٥٦

١٧-شناشيل ٥٩

١٨-الطبيعة/ الهلالي-١٣٤

١٩-تاملات /النقاش ١٦٧

٢٠-شناشيل ٢٦

٢١-شناشيل ٢٥

٢٢-شناشيل ٢٩

٢٣-الديوان ٩٢

٢٤-لغة الشعر /الورقي ٦١

٢٥-مدرسة ابولو-فشوان ٢٥٤

٢٦-الديوان ٨٣

٢٧-الديوان ١١٣

٢٨-شناشيل ٩٤

٢٩-شناشيل ١٠٦

٣٠-نفسه

٣١-شناشيل ١٣٢

٣٢-شناشيل ٦٩

٣٣-شناشيل ٣٦

٣٤-شناشيل ٨

٣٥-نفسه

٣٦-شناشيل ١٨--١٠

٣٧-شناشيل ٢٥

٣٨-شناشيل ٨٠

٣٩-شناشيل ٨٨

٤٠-نفسه

٤١- شناشيل ٨٨

٤٢-الحياة والشاعر سبندر-١٣٥

٤٣-اسطورة الموت-ريتا-٣٩

٤٤-شناشيل ١٦

٤٥-مقالات في الاناسه-كلود-٣٥

٤٦-شناشيل ٧٩

٤٧-شناشيل ٩٠

٤٨-شناشيل ٩٢

٤٩-شناشيل ٢٩

٥٠-شناشيل ٦٩

٥١-شناشيل ١٩

٥٢-شناشيل٥٦

٥٣-شناشيل٢٨

٥٤-شناشيل ٣١

٥٥-شناشيل ٣٢

٥٦-شناشيل ٣٥

٥٧-شناشيل ٣٩

٥٨-ادونيس ٤٥

٥٩-شناشيل ٥٤

٦٠-شناشيل ٥٥

٦١-شناشيل ٥٦

٦٢-شناشيل٤٢

٦٣-شناشيل ٤١

٦٤-شناشيل٦٥

٦٥-شناشيل ٢٠

٦٦-شناشيل ٢٩

٦٧-شناشيل ١٤٣

٦٨-شناشيل ١٩

٦٩-شناشيل ١٤٣

٧٠-الديوان ٧١٢

مصادر البحث

١-الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي -ياسين النصير -دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٣

٢-إقبال وشناشيل ابنة الجلبي-بدر شاكر السياب-منشورات دار الطليعة بيروت ١٩٦٥

٣-بدر شاكر السياب-دراسة في حياته وشعره-الدكتور إحسان عباس-دار الثقافة-بيروت لبنان ط٣-١٩٧٢

٤-بدر شاكر السياب/د.عيسى بلاطة-دار النهار للنشر بيروت ١٩٧١م

٥-تأملات في الإنسان-رجاء النقاش/المؤسسة العربية للدراسة والنشر/ط٣

١٩٧٧م

٦ -التفسير النفسي للأدب-الدكتور عز الدين إسماعيل-دار المعارف -النيل ١٩٦٣

٧- ثورة الشعر الحديث من بود لير إلى العصر الحديث/د.عبد الغفار مكاوي/ج١

٨-دراسات في الشعر العربي الحديث-وفق المنهج النقدي الديالكتيكي -امطانيوس ميخائيل/ط منشورات المكتبة العصرية بيروت١٩٦٨

٩-سيكولوجية الشعر ومقالات أخرى/نازك الملائكة/دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٣م

١٠-شعر بدر شاكر السياب-د.حسن توفيق/المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٩

١١-الشعر العربي المعاصر-د.عز الدين اسما عيل-دار العودة-بيروت-لبنان-١٩٧٢

١٢- زمن الشعر -ادونيس-علي احمد سعيد-بيروت ط٣-١٩٨٣

١٣-الغابة والفصول-طراد الكبيسي-الكتاب الثاني من شجر الغابة الحجري-بغداد ١٩٨٩

١٤-قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ط٢ مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٥

١٥-لغة الشعر العراقي المعاصر-د.عمران خضير الكبيسي-وكالة المطبوعات-الكويت-

١٦-لغة الشعر العربي الحديث -مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية-الدكتور سعيد الورقي -ط١٢

١٧-الهيأة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية ١٩٧٩-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/أبو الفتح ضياء الدين بن الأثير/تحقيق بدوي طبانة مكتبة النهضة مصر

١٨-مقالات في الاناسة-كلود ليفي شتراوس-اختارها ونقلها للعربية الدكتور حسين قبيسي- بيروت ١٩٨٣

he Split Discontents in Al-Sayyab With a Specific Reference to His Shanashil Ibnat Al-Chalabi Collection (The Antique House of Al-Chalabi's Daughter)

Abstract :

This study tackles the theme of discontent or anxiety in different senses and variations in Al-Sayyab's poetic works. It also digs deep into the reasons and motives behind the poet's profound feelings of unceasing instability and overwhelming melancholy, constant conflict and latent detachment – so dominant in his ouvre. Such feelings would summon to mind an archetypal pattern of a highly-credited poet/philosopher as Abu Al-Ala' Al-Ma'ari famed for his serene depression, anxiety and sorrow and blindness. Moreover, the study spots light on Al-Sayyab's existentialist feelings of Loss and Sleeplessness, Discomfort and Despair, Death and Nothingness as they are expressed in many of his poetry. Hence, this study handles as a case the poet's *Collection* entitled *Shanashil Ibnat Al-Chalabi* (*The Antique House of Al-Chalabi's Daughter*) in particular claiming such aspects as more prevalent in this *Collection* than elsewhere; therefore, it is divided into the following sections:

1. Nature Discontents
2. Woman Discontents
3. Loneliness Discontents
4. Time Discontents
5. Nothingness and Despair Discontents
6. Life Discontents
7. Echo Discontents

Each is traced in and substantiated with relevant extracts quoted from the above-mentioned *Collection*.